هوامش

ما زال عدد من الحرفيين الجزائريين مخلصين لحرفة الحلفاء أو «الدوم»، متحدّين الظروف الصعبة التي تواجههم للاستمرار في العمل، ومنع اندثار أحد رموز البلاد

منتجات جاذبة للسياح (العربي الجديد)

«دوم» الجزائر

حرفة تقاوم التطور التكنولوجي

الجزائر ـ **كمال بوحدة**

تعدّ صناعة نباتات الحلفاء، أو ما يعرف في الجزائر بـ «الدوم» من الحرف التقليدية التي تميّز العديد من المحافظات في البلاد، لما لها من طابع تراثي وتقليدي ما زال يصارع الزمن، وهي حرفة تقوم على استغلال هذه النباتات في إعداد أوانٍ مطبخية وتجهيزات منزلية بسيطة مختلفة كما يفعل غيرهم مع القش والقصب وغيرهما من المواد النباتية المصدر. الحرفيّون الذين تمسكوا بها يرفضون التخلي عنها على الرغم من الصعوبات والمشاكل والتحديات التي تواجههم، كنقص المواد الأولية وغياب سياسة التسويق والتصدير وعدم وجود أماكن للعرض وغيرها.

ورثت عائلة موالدي في مدينة القليعة، غرب الجزائر العاصمة، حرفة صناعة الحلفاء والخيزران من زمن الاستعمار الفرنسي. وتعلّم غيلاس، وهو أحد أفراد العائلة، الحرفة منذ 20 عاماً. ويقول: «توارثنا هذه الحرفة منذ زمن طويل، وكان جدي من أوائل الذين امتهنوا هذه الحرفة في زمن الاستعمار، وكانت الحاجة أم الاختراع. فالوضع الذي كان يعيشه الجزائريون آنذاك تحت وطأة الاستعمار دفع الكثير من الجزائريين إلى تعلم أي حرفة تضمن لهم قوت يومهم، خصوصاً الحرف اليدوية». يضيف في حديثه لـ«العربي الجديد» أنّ العائلة فضلت بعد الاستقلال الاستمرار في تطوير الحرفة حتى ذاع صيتها «وبعد سنوات، تحولنا إلى مؤسسة عائلية لصناعة الحلفاء والخيزران وطورنا هذه الحرفة في المنطقة ونقلنا عملنا إلى ولايات أخرى حيث استفاد العديد من الشباب المهتمين بهذه الحرف التقليدية». وعادة ما تُجلب المواد الأولية من محافظات سعيدة والجلفة وغليزان، وهي محافظات داخلية.

مظلات صيفية

وليس بعيداً عن ورشة غيلاس موالدي، ينهمك سمير برفقة زوجته في صناعة العديد من التحف الفنية من نبات «الدوم» كالمظلات الصيفية والقفاف والسلال والأواني الخاصة بالخبز. ويبدو شديد التعلق بهذه الحرفة، وهناك تناسق وانسجام كبير بينه وبين زوجته في تسيير مراحل الإنتاج، إذ يتولى كلّ واحد منهما تحضير المنتج إلى مرحلة معينة وتسليمه للآخر. يتكفل سمير بالمراحل الأولية الأساسية كانتقاء الحلفاء ذات النوعية المناسبة وتصفيفها وفتلها لتتكفل زوجته بالمرحلة الخاصة بالتزيين وتحضير المنتج في حلته النهائية قبل العرض.

يقول سمير: «تتحدر عائلتنا من محافظة الشلف الواقعة غرب العاصمة الجزائرية. والفضل يعود إلى مدينة سيدي موسى. كنت أزور أقاربي خلال العطل المدرسية وتمكنت من التعرف على الكثير من الحرفيين في المنطقة وأحببت هذه الحرفة. وبعدما توقفت عن الدراسة، توجهت مباشرة الى تلك المدينة وبقيت فيها مدة عامين. عملت في البداية أجيراً في إحدى الورش، وكنت ألاحظ الإقبال الكبير على هذه المنتجات من قبل التجار من مختلف الولايات، خصوصاً أنّها مصنوعة باليد وذات نوعية جيدة. وبعد سنوات عدة، فكرت في إنشاء ورشة خاصة لكنّني فضلت الابتعاد عن المنطقة والعودة إلى مقر إقامة عائلتي في مدينة القليعة قرب العاصمة الجزائرية، وأنشأت ورشة في منزلي. ركزت في البداية على صناعة القفة والمظلة والكسكاس (الجزء العلوي من ماعون إعداد طبخة الكسكسي) التي تشهد إقبالاً من سكان القليعة المعروفين بميولهم إلى تزيين منازلهم بالمنتجات التقليدية».

إبداع سمير في هذه الصناعة الحرفية سمح له بتلقي دعوات لعرض منتجاته في المعارض والمهرجانات التي تنظمها غرف الصناعة التقليدية في مختلف المحافظات. وبعد زواجه من سيدة تتقن الحرفة نفسها، قرر تطوير نشاطه أكثر وتطوير الإنتاج وصناعة تحف فنية أخرى. إلّا أن هذا النجاح ترافق مع العديد من المشاكل التي واجهت سمير على غرار الحرفيين الآخرين، وعلى رأسها عدم توفر المواد الأولية، بالإضافة إلى غياب الدعم الحكومي لتطوير هذه الحرفة والترويج لها، علماً أن الكثير من الدول، كالجارة تونس، استطاعت الاستفادة من المنتجات التقليدية هذه لتطوير السياحة. كما أنّ الضرائب المرتفعة أثقلت كاهلهم على الرغم من التصريحات المتتالية التي تشير إلى تشجيع الدولة الحرفيين، من دون أن تطبق على أرض الواقع».

هوية وتاريخ

في منطقة بومدفع الواقعة في محافظة عين الدفلى، التي تشتهر أيضاً بصناعة الحلفاء والفخار والمتاخمة للمركب الحموي المشهور حمام ريغة، استقبلنا الأربعيني محمد زايري في محلّه الذي استفاد منه في إطار برنامج حكومي مخصص للحرفيين، لكنّه ليس كافياً بالنسبة إليه. ويقول: «تعلمت هذه الحرفة من خلال تدريب شاركت فيه عام 1999 وبقيت أمارسها حتى اليوم. أصنع غالبية المنتجات في منزلي وأقضي أوقاتاً قليلة في المحل الذي اتخذته كمكان للعرض فقط. وخلال الفترة الأخيرة، وكون منطقتنا معروفة بكونها منطقة عبور للمصطافين إلى مدن الساحل، كان الإقبال على المنتجات التقليدية كبيراً مقارنة مع المناطق الأخرى في منطقة الوسط. إذ إنّ الكثير من السياح، خصوصاً المغتربين أو الآتين من العاصمة، يفضلون اقتناء المنتجات التقليدية للذكرى أو استعمالها في تزيين البيوت أو في المطابخ نظراً لخصوصيتها التاريخية كرمز للهوية ولتاريخ الجزائر». في المقابل، يعرب عن مخاوفه من تراجع عدد الحرفيين خلال السنوات الأخيرة نظراً لابتعاد الشباب عن الحرف التقليدية وتأثرهم بالتكنولوجيا والبحث عن الربح السريع. ويطالب بإيجاد حلول عاجلة من قبل المسؤولين للحفاظ على هذه الحرفة من الزوال، وتقديم الدعم اللازم للحرفي الذي يحافظ على أحد رموز الهوية الجزائرية.

ويقول حرفيّون إنّ الدولة فشلت في دعم هذه الحرفة. وما زال حرفيو الحلفاء والخيزران يعانون من جراء ضعف وصعوبة تسويق منتجاتهم بسبب نقص أماكن العرض، وعدم تصدير هذه المنتجات، على الرغم من أن العديد من السياح الأجانب يقبلون على اقتناء كمية كبيرة من التحف الفنية التي يصنعها الحرفيون، ما يشير إلى إمكانية عقد اتفاقيات تجارية مع دول عدة لتصديرها.

من جهة أخرى، عاش الحرفيون كابوساً خلال تفشي جائحة كورونا التي تسببت في ركود اقتصادي على جميع الأصعدة، لا سيما الجانب السياحي. وأغلقت الأماكن السياحية التي كانت تعد مساحات رئيسية لعرض وتسويق المنتجات التقليدية للمواطنين والمغتربين والسياح.

هذه المخاوف دفعت بعض المهتمين إلى مطالبة الحكومة الجزائرية بالعمل على حماية هذه المهن والحرف التقليدية. ويؤكد رئيس غرفة الصناعة التقليدية، عبد القادر دحماني فقي، في حديثه لـ«العربي الجديد» أنّ هذه الحرفة يمكن أن تشكل إضافة حقيقية للاقتصاد الجزائري وتوفر فرص عمل ومداخيل بالعملة الصعبة، إذا ما اعتمدت سياسة ناجعة للتصدير، ومضاعفة عدد المهرجانات الوطنية والدولية الخاصة بالمنتجات التقليدية، بهدف توفير أماكن أكبر للعرض وتمكين الحرفيين من تبادل الخبرات مع الأجانب، والتعريف أكثر بالمنتجات الجزائرية». كما يطالب الحكومة بضرورة إنشاء قرى أو ورشات كبيرة تجمع كلّ الحرفيين لدعم عمليات الإنتاج والعرض والبيع، وتشجيع إنشاء أماكن تساهم في تنشيط السياحة الداخلية وتخفيض الضرائب بالنسبة للحرفيين. يضيف: «الكثير من الحرفيين قادرون على الإبداع وغزو السوق العربية والأوروبية إذا ما توفرت الظروف الملائمة لتطوير أنشطتهم».

باختصار

يخشى الحرفيون ابتعاد الشباب عن الحرف التقليدية لتأثرهم بالتكنولوجيا والبحث عن الربح السريع

■■■

عادة ما تُجلب المواد الأولية من محافظات سعيدة والجلفة وغليزان، وهي محافظات داخلية

■■■

هذه الحرفة يمكن أن تشكل إضافة حقيقية للاقتصاد الجزائري إذا ما اعتمدت سياسة ناجعة للتصدير، ومضاعفة عدد المهرجانات الوطنية والدولية الخاصة

وأخيراً

إنجيل يسوع العربي

نجوى بركات

الأناجيل المنحولة، أو «أبوكريفا»، هي الأناجيل التي كُتبت ما بين القرن الثاني والقرون الوسطى، ولم تعترف بها الكنيسة، إذ اعتمدت أربعةً فقط: أناجيل يوحنا ومتّى ومرقس ولوقا. مع ذلك، ثمّة عدد لا يحصى من التقاليد والعادات المسيحية الرائجة العائدة لتلك الأناجيل، ولا يرد ذكرها البتة في كتب العهد الجديد، ربما لحاجة المؤمن إلى ملء ثغراتٍ تتعلّق ببعض المراحل المجهولة من حياة السيّد المسيح. وللأناجيل المنحولة أهمية إضافية، إذ يعتبرها بعض مسيحيي العالم مرجعهم الأساس، كما هي حال الهند، على سبيل المثال، مع إنجيل القدّيس توما، فالمؤمنون ينسبون إليه فضل اعتناقهم المسيحية، ناهيك عن إثارتها اهتمام غير المؤمنين وتأثيراتها العديدة على المخيلة الشعبية الدينية، خرافاتها وحكاياتها.

هناك مثلا «الإنجيل العربي للطفولة»، ويُدعى أيضاً «إنجيل الطفولة السرياني» أو «حياة يسوع بالعربية» وهو يرتكز إلى انجيلين منحولين، إنجيل توما وإنجيل يعقوب، وقد تمّ جمعه في نهاية القرن الخامس أو بداية القرن السادس، بالسريانية أولاً، ثم بالعربية، وهي النسخة التي كانت وراء اكتشافه في الغرب، بعدما نشره هنري سيك باللاتينية عام 1697. يتناول الإنجيل العربي طفولة يسوع وشبابَه المجهولين، منذ ميلاده وحتى عماده في نهر الأردن، أي نحو ثلاثة عقود، لا تخبرنا الأناجيلُ الأربعة الرسمية عنها الكثير. وهو يصوّر، مع بعض الأناجيل المنحولة الأخرى التي كُتبت في الشرق، سلوك يسوع الطفل بالتفصيل، فيظهر ابنُ مريم تارّة ولداً عصبياً، سريع الغضب وعنيفاً، لا يتقن التحكّم بمقدّراته وقواه، وتارّة حكيماً، رائقاً، أكثر نضجاً من سنّه بكثير. لكنّه في الحالين، لا يشبه بقية الأولاد، وإنْ رافقهم ولعب مثلهم.

يروي الإنجيل العربي، على سبيل المثال، أنّ يسوع تكلّم في المهد صبياً، وأنّه خاطب أمه مريم، وهو لم يبلغ بعد عاماً من العمر، ليكشف لها من يكون وما هي مهمته على الأرض، وهو ما جاء ذكره في القرآن الكريم، ولم تورده أبداً الأناجيل الرسمية. وثمّة حكاية تخبرنا إياها الأناجيل المنحولة، فتقول إنّ يسوعاً بينما كان سائراً مع أبيه يوسف، اصطدم بكتفه صبيٌّ راكض، فغضب منه يسوع، والتفت إليه قائلاً: لن تواصل طريقك. فما كان من الولد إلّا أن سقط صريعاً في أرضه. الناس الذين شاهدوا ما حدث، ارتعبوا مما رأوه، وحين قدِم أهله، قالوا ليوسف: لا يمكنك السكن معنا في هذه القرية، مع صبيٍّ كهذا، وإلّا عليك أن تعلّمه كيف يبارك، لا كيف يلعن... وقد دار نقاش حادّ بين

> يروي الإنجيل العربي أن يسوع تكلّم في المهد صبياً، وأنّه خاطب أمه مريم، وهو لم يبلغ بعد عاماً من العمر

يوسف ويسوع، اضطر «الوالد» إلى شدّ أذن ولده عقاباً. بعد ذلك، تُكمل الرواية، جاء معلّم المدرسة وعرض خدماته لتعليم الصبي وتهذيبه، فوافق يوسف محذّراً إياه بأنّها لن تكون عمليةً سهلة. دخل يسوع المدرسة، وذات يوم طلب منه الأستاذ أن يردّد وراءه حروف الأبجدية أكثر من مرة. لكنّ الصبي لم يمتثل، إلى أن ضربه الأستاذ على رأسه، فسخر منه يسوع ونعته بالغباء والجهل، قبل أن يتلو الحروف كلها ويُمطره أسئلة عن أشكال الحروف وأصولها و... حتى جنّ الأستاذ طالباً منه الخروج وعدم العودة.

على العكس من ذلك، يروي الإنجيل العربي أو «حياة يسوع بالعربية» الحادثة بطريقةٍ أخرى، إذ يُظهر أنّ يسوع ابن الثانية عشر عاماً قد اتّهم جزافاً بموت الصبي الذي فارق الحياة في أثناء لعبة عنيفة مع مجموعة من رفاقه، اجتمعوا على سطيحة. ولكي يبرّئ يسوع نفسه، يخاطب الضحية، فإذا بها تجيب وقد ردّت إليها الروح، أمام دهشة الجميع وصرختهم: إنّ الربّ معه حقاً، فما تراه سيحقّق بعد؟

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**